مصارعة الثيران

لكل بلاد العاب وطنية يرتاح اليها اهلها وهي إمّا اصيلة في البلاد نشأت فيها او دخيلة أُدخلت اليها من بلاد أُخرى. ومن الالعاب الوطنية التي اشتهرت شهرة عظيمة مصارعة الثيران في اسبانيا وهي من الالعاب البربرية الوحشية التي الفيت من اكثر البلدان لما فيها من الفظاعة وسفك الدماء . وقد ورثها الاسبان عن آبائهم واجدادهم ادخلها الى بلادهم الرومان مع غيرها من الالعاب الوحشية التي كانوا يلعبونها في مشهد رومية

وشاعت مصارعة الثيران في كثير من البلدان الاوربية في القرون الوسطى ايام القروسة وسفك الدماء حتى انك ترى آثار الملاعب في كثير من مدن فرنسا والمانيا وغيرها شواهد على ما كان يجري فيها من الفظائع التي يستهجنها ابناء هذا الزمان . والبلاد الوحيدة التي تبيحها الآن هي البلاد الاسبانية ففيها ملعب كبير في مدينة مدريد عامتها يسع ١٥٠٠٠ نفس وآخر في بلنسة يسع ما يزيد على عشرين الف نفس. ويبتدئ اوان المصارعة في مدريد في شهر ابريل وينتهي في شهر نوفمبر فينتظره الاهلون ولا تكاد الاعلانات المبشرة باوّل مصارعة تصدر وتنتشر حتى تراهم يتراكضون الى ابتياع اوراق الدخول قبل ان تنفد لكثرة الراغبين فيها . وهم يهتمون كثيراً بها اذا كان المصارعون يمتازون على غيرهم في ما يظهرونهُ من الخفة في اغواء الثور الى حتفهِ او في اخماد انفاسهِ بحدّ سيوفهم فيقضون اوقات الفراغ يتباحثون و يتناقشون في هذه المواضيع

والملعب الذي يجري فيهِ الصراع ساحة فسيحة مستديرة على دائرها مقاعد الواحد منها فوق الآخر مثل سلم مستدير وسيفي أعلى هذا السلم غرف لاكابر المشاهدين واعاظمهم ويحيط بالساحة حاجز من الخشب متين غير مرتفع يفصل بينها و بين المقاعد و يجلس على هذه المقاعد الناس من كل الطبقات رجالاً ونساء وصبياناً وبنات يهتفون فرحاً وطرباً كلما خرّ احد تلك الثيران يخبط بدمائهِ كأنهم فقدوا كل عواطف الشفقة والحنان لكثرة ما شاهدوهُ من هذه المناظر. وحينما يأزف الوقت المعين للصراع يعطي الرئيس مفتاح القفص الذي فيهِ الثيران الى احد الفرسان المنوط بهم حفظ النظام وهم لابسون ملابس فرسان القرون الوسطى من المخمل والحرير المقصب وعلى راس كل منهم ريشة تتمايل في الهواء . وتبتدئ الالعاب بدخول جميع اللاعبين في موكب فيدخل اولاً الفرسان على خيولهم ثم يتبعهم المصارعون المشاة بملابس ملوّنة مزخرفة وعلى ذراع كل منهم قباء احمر للتحرّش بالثور والقاء شرو . ثم يدخل اصحاب البنود وهم يطعنون الثور بحراب مزدانة باعلام صغيرة يتدلّى منها بنود ملوّنة ويضعون فيها

احياناً بارودًا ينفجر عند ما تمس الثور فيغتاظ ويهيج . ثم يدخل مصارعون آخرون راكبين خيولاً عجفاء طاعنة في السن لكي تهجم الثيران عليها وتنفد غيظها فيها ويسير هؤلاء كلهم في موكب مهيب الى امام رئيس الحفلة ويحنون له رؤوسهم ثم يطلق الثور من قفص فيتقدم منهُ اول المصارعين وفي احدى يديهِ سيف وفي الأُخرى علَم صغير وعلى هذا الرجل قتل الثور لكن يجب ان يقتلهُ بالقان اي بطعنهُ طعنة واحدة تكون القاضية عليهِ

قال عزتلوادوار بك الياس في كتاب وضعهُ حديثاً عن رحلتهِ في اوربا وقد شاهد الصراع ما نصهُ "وقصدت مرسح الثيران في مدريد يوم الاحد فما قدرت على ابتياع التذكرة لدخولهِ

الاَّ بعد عناء كثير تكبدهُ صاحب الفندق لان الاقبال على تلك الفرجة كان فوق ما تتصورهُ العقول . ومرسح مدريد اعظم مراسح الثيران في اسبانيا كلها وفي صدرهِ اماكن للاسرة المالكة ومع انهُ يضم خمسة عشر الفاً فما بقي فيهِ موضع واحد خالياً وفي اسفلهِ ساحة كبيرة للمصارعة يحيط بها حاجز من الخشب غير مرتفع ولكنهُ متين وهو يفصل الساحة عن مقاعد المتفرجين وفي احدى الجهات من تلك الساحة ابواب من الخشب تفتح وتقفل من الوراء ليدخل منها المبارزون والوحوش وكان الناس ينتظرون بدء القتال بذاهب الصبر حتى اذا فتح احد الابواب وبدأ الفصل الاول صفقوا كلهم طربين معجبين ودخل ثور كبير جعل يركض في عرض الساحة كانما هو يقول هل من مبارز هل من مناجز فعند ذلك دخل الساحة رجلان يلبسان الجوخ

الاحمر المقصب ومع كلٍّ منهما شال احمر يحرش به الثور ويهيجهُ فجعلا يغضبانهِ بابراز الشال حتى هاج وغضب ونجوا منهُ الى ما وراء الحاجز الخشبي الذي ذكرناهُ

ثم دخل رجلان آخران على شاكلة من ذكرنا ومعهما باليد اليسرى شال احمر وباليمنى حراب طول الواحدة نحو متر ونصف ملبسة بالقماش الاحمر ويتدلى منها شرائط حمراء فجعلا يقاتلان الثور بهذه الحراب وهما كلما تقدم عليهما عرضا لهُ الشال الاحمر فينطحهُ تشفياً منهُ وغيظاً . وبعض هذه الحراب المذكورة تغرز في رقبة الثور وبعضها لا يعلق بها بل يسقط الى الارض ويوجب سقوطها ازدراء الحاضرين كما انهم يصفقون استحساناً اذا غرزت الحربة في رقبة الثور . فلما سال دم هذا الثور واشتدَّ هياجهُ دخل ثلاثة فرسان على الخيل معهم حراب طويلة جعلوا يطعنونهُ بها كلٌّ في دورهِ فعند ذلك هجم على الحصان الاول ووضع رأسهُ تحت بطنهِ فبقرهُ والقاهُ شطرين ثم هجم على الحصانين الآخرين وفعل بهما كالاول حتى وقعت الافراس الثلثة تتخبط بدمائها واما الفرسان فانهم سقطوا الى الارض لما قتلت خيلهم وفي الحال فروا من وراء الحاجز ما عدا احدهم اغمي عليهِ فبادروا الى اعانتهِ وانتشالهِ حينما كان الثور يدوس جثث الخيل وينظر الى الحاضرين نظر الفائز المنتصر

وبعد هذا دخل محارب يسمونهُ ثوريرو اي الرجل الثوري ومعهُ الشال الاحمر والحربة فجدَّ في محاربة الثور الى حد ان وقف الاثنان ينظران احدهما الى الآخر غيظاً فحينئذٍ طعن الرجل الثور بحربة في رقبتهِ فاخرجها من الجانب الآخر فلما وقع هذا الثور المسكين قتيلاً هاج المتفرجون طرباً وصفقوا استحساناً وصدحت الموسيقى فرحاً بتلك المذبحة ثم دخلت عربات ورجال جرَّت الجثث الى الخارج " انتهى

وقد تفنَّن الاسبانيون حديثاً في مصارعة الثيران واغروا بناتهم بمجاراة الرجال في هذا المضمار . قال احد الكتَّاب في مجلة العالم ما ترجمتهُ

اذا فرغ الاسبانيون من مصارعة الثيران ادخلوا الى مشهد الصراع ثوراً واسداً او ثوراً وفيلاً ورأوا كيف ينتك احدهما بالآخر . او اعطوا ازمَّة المصارعة لبنات تدرَّبن على ذلك وحينئذٍ تغصُّ المشاهد بالحضور. وقد شاهدت هؤلاء البنات اول مرة في برشلونة وكان الفصل شتاء وكنَّ يتمرَّنَ تمرُّناً ومعلمهنَّ رجل بدين اسمهُ أتي رحَّب بي واخبرني انهُ اول من علَّم البنات مصارعة الثيران وقد طاف بهنَّ في اسبانيا وفرنسا واميركا الجنوبية فاظهرنَ من المهارة ما اخلب الالباب وغار منهنَّ الرجال الماهرون في مصارعة الثيران وقد رسمت صورتهُ معهنَّ في الشكل التالي

ثم وصف الكاتب كيف يتمرَّن هؤلاء البنات على طعن ثيران خشبية تجري امامهنَّ على

عجل كالدراجات وقال انهُ سأل معلميهنَّ عما اذا كانت مصارعتهنَّ للثيران سليمة العاقبة دائماً فقال لهُ نعم الاَّ مرةً واحدةً . ثم اراهُ فتاة لطمها الثور فشق وجهها من فمها الى اذنها لكن الثور قُتل حالاً والشق خيط فلم يبقَ منهُ الاَّ اثر طفيف. وقالت الفتاة لهُ انها هي الملومة لانها طرحت قباءها من يدها حينما كانت في اشد الحاجة اليهِ . فقال لها الكاتب أوَ لا تخافين من الثور فقالت عسى ان لا اخاف ابداً لانني اذا خفت قضي عليَّ . فقال لها على مَ اخترتِ هذه الحرفة وقد كانت خاصة بالاقوياء من الرجال فقالت ألا ترى ان النساء صرنَ يجاولن مجاراة الرجال في امور كثيرة ولم يبقَ قيادهنَّ في ايديهم كما كان قبلاً . واظن ان اكثرنا اختار

هذه الحرفة لانها حببنا الناس بحبون الجديد ويسرون بهِ فكان كما ظننا وربحنا اكثر مما تربح الممثلات واشتهرنا ايضاً ونحن نرغب في الشهرة كما يرغب فيها الرجال

ثم وصف مشاهدتهُ صراع البنات للثيران في برشلونة . قال وكان المشهد غاصاً بالمشاهدين المظلل منهُ والمكشوف . ولا اطيل في وصف دخول المصارعات الى المشهد لانهُ لا يفرق عن دخول المصارعين والغرض الذي تتوخاهُ المصارعة ان يقف الثور امامها مواجهة حتى تطعنهُ بحربتها بين رقبتهِ وهي الطعنة القاتلة فدنت من الثور وجعلت تحرشهُ بحربتها وكلما دنامنها الاحت بالقباء في وجههِ الى ان لاحت لها الفرصة المناسبة فطعنتهُ بين رقبتهِ والقتهُ صريعاً

نجيب صروف